(٤)

العجالة

- إستدراك .
- المقدمة التي يبتني عليها تقرير كيفية التوجه الأعلىٰ وشرائطه ولوازمه .
- مطلب في القلب الإنساني .
- في كيفية التنقل في مراتب المذكور ، والدرجة الأُولىٰ .
- تتمة .
- فصل .

إستدراك

[رسالة الخلوة المطلقة التي سبق لنا إخراجها ولم نذكر ـ سهواً ـ مصدرها ، نقول :

هي ضمن مجموعة بمكتبة الأزهر الشريف العامرة إلى يوم الدين إن شاء الله تعالى في مجلد بقلم تعليق من ورقة : ٣٤ ـ ٤٣ تحت رقم :

٢٠/خاص ، ١٣٨٤/عام تصوف .

ونشكر الله على فضله ومنته] .

وجاء في أول هذه الرسالة [العجالة] بيد الناسخ قوله :

«كتاب العجالة ، وتتضمن التعريف بكيفية التوجه الأولى بحق الحق جلّ وعلا» .

هذه الرسالة [العجالة] نقلتها من مكتبة الأزهر الشريف : العامرة ضمن مجموعة تحت رقم :

٢٠/خاص ، ١٣٨٤/عام : تصوف .

نسخها : مصلح الدين بن أحمد بن إلياس إمام مسجد سيباي

بدمشق] :

جاء في آخرها ما يلي :

[«تمت العجالة بعون الله وحسن توفيقه .

والحمد الله وحـــده .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

في شهـر صفـر [المـظفـر] من شهـور سنة ست بعـد الألف من الهجرة النبوية .

علقها عجلاً لنفسه : أضعف الفقراء ، مصلح الـدين بن أحمد بن إليـاس ، الخلوتي ، البلغرادي ، ثم الـدمشقي ، الإمام بجـامـع سيبـاي غفـر الله لـه ولــوالـديــه ، وأحسن إليهمـا وإليــه ، ولجميـع المسلمين أجمعين . آمين» .] ا . هـ .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الشيخ الكامل ، الوارث المحمدي : محي الدين بن عربي ، (قدس الله سره العزيز) :

الحمد لله المنعم على الصفوة من عباده بمزيد الاجتباء ، الباذل لهم جزيل المنح وشوامخ النعماء . الذي أخرجهم من باطن الوجود العلي[1] والظلام اللامكاني العدمي : إلى ظاهر عرصة[2] الوجود العيني ، مجتمع الأنوار والأضواء .

وقطع بهم الأطوار ، والأدوار : رسوم[3] مراتب الاستيداع والإستقرار ، المنبه عليها في أشرف الأنباء[4] .

ثم نقلهم من ضيق السد البشري وتشغيبه ، وسدفة اللج الطبيعي وتركيبه ، في سفن العناية والتصديق ، وعلى براق العمل الصالح والتوفيق حتى حطوا رحالهم ، وألقوا مراسيهم بمقام حق اليقين

---

(١) بكسر العين وتشديد اللام المكسورة : أي المعلول بعلة .

(٢) بفتح العين وسكون الراء وفتح الصاد : كل بقعة واسعة بين الدور ليس فيها بناء .

(٣) مفعول قطع .

(٤) القرآن الكريم بقوله : ﴿خلقكم أطواراً﴾ .

والجلا ، وكحل أبصارهم وبصائرهم بنوره ، وعرفهم بسر جمعه بين أوليته وآخريته ، وبطونه وظهوره[1] ، فرأوا : الوجهة[2] ، والمعبود ، في كل افتراق وإئتلاف والمقصود بكل اتفاق واختلاف ، واقع بين العالمين من أهل السعادة والشقاء . فخلصوا[3] من غياهب الشكوك والمراء ، واهتدوا لما أختلف فيه من الحق بإذنه ، بل به ، فشفوا من كل الأسقام والأدواء ﴿**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون**﴾ ـ المفلحون ـ .

وصلوات الله تترى على : إمامهم وقدوتهم ، وعلامتهم[4] : مفتاح أقفال الإنشاء ، وخاتم دورة السيادة والاعتلاء : [محمد سيد الأنبياء الكمل من إخوانه ، وعلى آله : وورثته[5]] ، حاملي الأمانة الإلهية واللواء ، وحفاظ جميع طرق التلقي والإلقاء ، وعلى أهل التحقيق والولاء ، إلى يوم الجمع واللقاء :

أما بعد :

فهذه «عجالة تتضمن التعريف بكيفية التوجه الأولى بحق الحق جلّ وعلا ، وكيفية تخليص العزيمة وتحرير المطلب ، حال القصد إليه والإقبال بوجه الحق عليه ، وبيان الصراط الأقوم ، والطريق الأقصد الأتم ، الذي اختاره الحق لصفوته من الأنام ، ونبه عليه في شرعه الذي أرسل به نبيه محمداً خير الأنبياء (عليه وعليهم الصلاة والسلام)» .

وأوضح فيها : ـ إن شاء الله ـ سر الذكر والحضور ، وتفريغ

---

(١) في قوله تعالى : ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾ .
(٢) القصد .
(٣) بفتح اللام .
(٤) العلامة : بتشديد اللام المفتوحة : أعلم العلماء .
(٥) في الأصل : «محمد سيد الأنبياء، وعلى آله الكمل من إخوانه وورثته» ولا يستقيم المعنى .

المحل لمواجهة حضرة الحق[1] العلي الكبير ، وكيفية الإنتقال من ظاهر الذكر إلى باطنه ، ثم الجمع بين ما بطن وظهر ، وتعدى ذلك إلى الفراغ الآتي ذكره ، لاستجلاء الحق المستور ، عن الخلق وسره ، بقلب خال عما سواه ، ليس لصاحبه وجهة إلاَّ إيّاه .

وأشير أيضاً إلى هذا التوجه مما ينتفع به : المبتديء ، والمتوسط ، والعارف المحقق ، ما عدا الكملة من عباد الله ، فإن لكل منهم شأناً يخصه ، وخبراً : يخفيه وقتاً وينصه ، ليس هذا موضع ذكره ، ولا هذا مقام بيانه وكشف سره .

والله ولي الإحسان والتوفيق ، لأحمد نهج وطريق .

(١) أي الاستعداد التام لتلقي أنوار الحق تعالى المفاضة على هذا الإنسان الذي يريد الأنس بالله في مجلس الذكر .

المقــدمة

التي يبتني عليها تقرير كيفية التوجه الأعلى وشرائطه ولوازمه

إعلم ـ أيدنا الله وإيّـاك بتسديـده ، ونظمنـا في سلك المقربين من عبيده : أننا لا نشك بأجمعنا : أن لنا مستنداً في وجودنـا ، هو : خـالقنا وخالق كل شيء .

ولا نشك أيضاً : إنه أشرف[1] منـا ، ويتمايـز : من حيث افتقارنـا إليه في إستفادة وجودنا منه أولاً ، وفي إمداده إلينـا بما بـه بقاؤنـا ثانيـاً ، ومـا نحتاج إليـه في تخليص نفوسنـا من الشقاء ، ومـوجباتـه وأسبـابـه ، وتحليفنا[2] أسباب الفوز بالسعادة ومقام القـرب منه ، ومعـرفة كيفيـة قرع باب حضرته العليا ، التي بالدخول فيها تحصل السعادة القصـوى ، فإنـه الغني عنـا ، وعن مثل مـا افتقرنـا إليه : ذاتـاً وصفـة ، فـإن : النقص ، والفقــر ، والانفعـال ، من صفــاتنــا ، كمـــا أن : الفعــل ، والغني ، والكمال : ذاتي له ، ومن صفاته .

ولقـد أخبرنـا على ألسنة سفـرائـه (صلوات الله عليهم) : إنـه خلقنـا

---

(١) لأن النقص : مـلازمنا ، ولله تعـالى الكمال المـطلق الـذي لا يحـده حـد ـ سبحـانـه وتعالى ـ .

(٢) جعله حليفاً لنا وملازماً .

لعبادته [١] ، وأراد منا لنا التحقق بعبوديته ومعرفته ، أمرنا بتوحيده ، ورغبنا في الحظوة به .

وطلب السعادة بالإقبال عليه ، والتوجه والاخلاص من الشرك الخفي والجلي إليه .

وحذرنا من : الغفلة ، والنسيان ، والاغترار بتساويل النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان .

وندبنا وهيئنا للتعرض لنفحات جوده .

فوجب على كل مؤمن عاقل منا : طالب خلاص نفسه ، راغب في تحصيل مقام القربة في المراتب العلية من حضرات قدسه : أن أن يهتم ويعتزم على التوجه إليه سبحانه وتعالى بقلبه الذي هو أشرف ما فيه ، لأنه الينبوع لما يشتمل عليه نسخة وجوده من صور العالم ومعانيه ، ولأنه ـ كما أخبر ـ إنه محل نظر الحق ومنصة تجليه [٢] ومهبط أمره ، ومتنزل تدليه [٣] .

لكن ينبغي لك أن تعلم أن القلب ليس عبارة عن المضغة الصنوبرية ، فإنها ـ وإن سميت قلباً ـ فإنما تلك التسمية على سبيل المجاز ، وباعتبار تسمية الصفة ، والحامل : باسم الموصوف ، والمحمول ، وإلاَّ فكل عاقل يعلم أن القلب الذي أخبر الحق على لسان نبيه (ص) بقوله : «ما وسعني أرضي ولاسمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي الوادع [٤] ، ليس هو هذا اللحم الصنوبري الشكل ، فإنه أحقر ـ من حيث صورته ـ [من] أن يكون محل سره جل جلاله ، فضلاً عن أن يسعه فيكون مطمح نظره الأعلى ومستواه .

---

(١) قال الله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾ من سورة الذاريات ؛ الآية : ٥٦ .

(٢) ورد في هذا المعنى عدة أحاديث منها قوله (ص) : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم وابن ماجة .

(٣) القرب ليس هنا حسياً ، وإنما قرب تشويق وتصفية ، والله أعلم .

(٤) استدل به الإمام الغزالي في الأحياء في باب عجائب القلب .

مطلب في القلب الانساني

وإنما القلب الإنساني : عبارة عن الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشؤون الربانية ، وبين الخصائص والأحوال الكونية الروحانية والطبيعة ، وبها ـ أعني حقيقة القلب ـ تنشأ عرصتها[1] وتنبسط أحكام شأنها ، وتظهر من بين الهيئة الاجتماعية ، الواقعة بين الصفات والحقائق الإلهية والكونية ، وما يشتمل عليه هذان الأصلان من الأخلاق والصفات اللازمة ، وما يتولد من بينهما : بعد الإرتياض والتحنك[2] والتزكية ، وزوال الأحكام[3] الإنحرافية وغلبة الاعتدال الرياضية الروحانية الحاكمة على الطبيعي والصوري الهوى الفلكي الملكي ، والاعتدال السفلي العنصري ، فتظهر الحقيقة القلبية : ظهور السواد بين الزاج والعفص والماء[4] ، وكظهور النار بين الحجر والحديد .

---

(١) بفتح العين والراء والصاد .

(٢) كثرة التجارب ، تقول : رجل حنكته التجارب .

(٣) بفتح الهمزة .

(٤) الزاج : نوع من الملح ، والعفص : دواء قابض مجفف : يرد المواد المنصبة ويشد الأعضاء الرخوة الضعيفة ، انظر القاموس .

فتلك الصورة الظاهرة من بين ما ذكرنا ، هي : صورة الحقيقة القلبية الموصوفة بما وصف به الحق والعالم .

والقلب الصنوبري : منزل تدنى تلك الصورة ومراتبها .

والناس فيما ذكرت على درجات عظيمة التفاوت ، من عرف كليتها : عرف حقيقة الإسلام ، والإيمان ، والولاية ، والنبوة ، والرسالة ، والخلافة ، والكمال ، والقدر المشترك بين جميعها ، وما يميز كل واحدة من هذه عن الأخرى . فافهم .

ثم أقول : فالسير ، والسلوك ، والرياضة ، وكل ما هنالك ، فهو لتحصيل الرتبة الاجتماعية الاعتدالية الواقعة بين أحكام العلم والاعتقاد الصحيح ، وبين الأعمال والأخلاق والصفات : على مقتضى الموازين العقلية ، والشرعية : لظهور عين الصورة القلبية وحكمها .

فإذا ظهرت ـ من حيث صفة طلب المتوجه ـ غلب عليه حكم الصفة المقتضية للقلب ، على باقي صفاته : التي اشتملت عليها ذاته ، وتوقدت عزيمته وإرادته : بموجب الأمر الباعث له على الطلب ، فقصد حالتئذ : تفريغ قلبه بطراز آخر ، فإن التوجه الأول ، هو : توجه جملي(١) لمحبة ذاتية : غير معلومة السبب والعلة ، ليس لها متعلق عند التوجه متعين(٢) في بدء أمره وطلبه .

وهذه العلامة : أصح العلامات بالنسبة إلى أهل الاستعداد التام . فإن أحكام المناسبات الذاتية غير معللة .

وأما هذا التوجه الثاني فهو عبارة عن التوجه إلى الحق ، على ما تعلم نفسه ، غير متقيد [بالتنزيه](٣) المسموع أو المظنون ، وكذلك

---

(١) بضم الجيم وسكون الميم وكسر اللام .

(٢) في الجملة تقديم وتأخير هو : «متعلق متعين عند التوجه» والله أعلم .

(٣) هكذا هي في المخطوطة .

التشبه ، بل يكون توجهاً مطلقاً جملياً ، هيولاني[1] الوصف : قابلاً كل صورة ، ولم يزد عليه من الحق : ظاهراً عن نفس كل اعتقاد : مستحسن ومستنكر ، جازماً أن الحق : كماله ذاتي ، مستوعب جميع الأوصاف : الظاهرة الحس ، والخفية عنها .

لا يحيط بسره عقل ولا فكر ، ولا وهم ولا فهم .

بل هو كما أخبر وأشهد ، وعرف، وأظهر كل من شاء ، كما شاء ، إن شاء ظهر في صورة ، وإن لم يشأ لا ينضاف إليه صورة ، ولا اسم ، ولا رسم ، وإن شاء : صدق عليه كل حكم ، ومسمى بكل اسم ، وأضيف إليه كل وصف .

وهو المقدس على كل حال ، عما لا يليق بجلاله .

وليس المنزه عن ما هو ثابت له لذاته ، بشرط ، أو بشروط ، أو بدونها[2] .

فإذا صرت ـ يا أخي ـ كذلك ، ونقرر هذا العقد في نفسك ، وانمحت كثرة أحكامك المختلفة في وحدة توجهك دون نفس ، وتعشق بشيء ، أو التفات إلى أمر[3] : حينئذ تثبت المناسبة بينك وبين حضرة القدس .

وحالتئذ : تكون قد تهيأت لتجلي الحق وتكون منزل تدليه ، ومنصة تجليه[4] فافهم .

---

(١) الهيولي لغة : الهباء المنبث في الجو .

(٢) التنزه : التباعد عن الشيء ، والله تبارك تعالى : منزه عن النقائص ، فإذا عرفت هذا : عرفت أن الكمالات كلها من صفاته تبارك وتعالى : متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص .

(٣) القصد به الإضطراب الذي يعروه في الاتجاه إلى الله بكل قلبه ، لأن إبليس لا يدعه ، بل ينفخ في نفسه ويذكره بأشياء وأمور ، فإذا ما صدق الله ثبت قلبه في الاتجاه إلى الله تعالى واطمئن ، وأيس إبليس من قيادته ، أو حتى من التلويح له بالمعصية .

(٤) بعد الجهاد المرير .

إعلم أن منبع قوة(*) الإنسان الطبيعية والمزاجية وما ينبغي له من الصفات والأخلاق والأفعال : قلبه ، ومراءة الروح الإلهي العارف المدبر للبدن بواسطة الروح الحيواني في المحمول في الصورة الضبابية ، الحاصلة في التجويف الأيسر من القلب الصنوبري المذكور ، والروح الإلهي المشار إليه من حيث القلب المذكور : الجامع بين خواص الروح ، وخواص المزاج : «مرءاة السر الإلهي المشار إليه بقوله : ـ ووسعني قلب عبدي ـ» الحديث .

فمن شعبه للمطالب الكونية : شعبه وفرقه شعباً ، بحيث أنه يصير مخصصاً لكل مطلب [جزوي[1]] من تلك المطالب منه خاصة ، فإنه يهزل هزالاً معنوياً ، كما يهزل البدن : لفرط التحليل الذي لا يخلف[2] ، وكما يضعف كماء النهر العظيم : إذا قسم جداول شتى ، فيضطر إلى طلب الاستمداد والتقوى بأمور خارجة ، طالباً إيصالها إلى نفسه وإتصالها به ، كما هو الأمر في المتغذي مع الغذاء . وتأبى الحقيقة من حيث المعنى ذلك ، كالضعيف المعدة ، والساقط القوي : إذا رام خلاف ما تحلل منه بدواء يقصد تناوله ، فإنه لا ينتفع به لعدم مساعدة الطبيعة على تحصيل المقصود منه ، وتظهر الطبيعة في عالم حقائق الإستعداد .

فإن لم يكن استعداد : لا يجدي اجتهاد .

فإذا اقتصر الإنسان في أول أمره على ما حوته ذاته ، مما أودع الحق فيه ، وحفظ قلبه وسره الكلي من التوزع والتشتت ، والتشعب بالتعلقات بالمطالب الجزئية الكونية : كان غناه وقوام الطبيعة ، والروحانية ، ثم الإلهية : وثمراتها : أوفر وأتم .

(*) في المخطوطة «قول» .

(١) هكذا هي في المخطوطة ، ولعنها ـ والله أعلم ـ «جزائي» .

(٢) بتشديد اللام ، أي لا يترك .

فاقصد الاستمداد والتقوي به من خارج .

وإنما جهل كماله الذاتي المستجن فيه ، فتعدى لطلبه وتحصيله من خارج ، ولو اهتدى سواء السبيل : لعلم أن متعلق القلب الأصلي : تفصيل مجملاته ، وبروز مستجناته[1] ، بخروج ما في القوة إلى الفعل ، وجميع ما أثبت من صفاته وقواه بالتوزع والتكثر والاختلاف الإنحرافي : إلى التوحد الاعتدالي والرجوع إلى الأصل : «كل اعتدال من الاعتدالات الأربع المذكورة» .

ثم الأصل الأحدي الجامع للجميع ، ليلحق كل فرع بأصله ، وتتحد الأصول بالأصل ، وتكمل الأجزاء بالكل ، ولكن حجب عن ذلك لظهور حكم تمييز القبضتين ، وتحقيق الكلمتين ﴿**ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾ فافهم وأعرف ما ينبغي لك أن تطلبه وتحصله : تنمية وتثميراً وما ينبغي لك أن تنسلخ وتتجرد عنه تزكية وتطهيراً : يقرب لك الأمر ، ويختصر لك الطريق بعون الله ومنته .

---

(١) المستجن : هو المخبوء المستتر ، ومنه : الأجنة في بطون الأمهات ، والجن ، لأنه مستور عنك ، وجنه الليل أي : ستره وغطاه .

في كيفية التنقل في مراتب المذكور، والدرجة الأولى

مطلب دفع الخواطر :

بدوام الذكر الظاهر : تجدد جمعية دون إنزعاج المزاج ، بل بحضور مع الحق ، ومراقبة له على ما تعلم [بعضه][1] كما مر .

فإذا دفعت الخواطر وزالت ، نطق القلب بالذكر الذي أنت عليه أو بذكر آخر [بعينه][2] لك من الحق .

فهنالك يعلمه الله سبحانه : إنه لا يقع حالتئذ ، [فحضرت معه ، وتركت الذكر الظاهر[3]] ، وهكذا حتى تحقق بإمكان خلو الباطن من الذكر المتجدد أيضاً ، حتى تثبت وتشعر بأنك قادر على ذلك .

فاجتهد في تفريغ باطنك من الذكر الباطن ، واستعمل نفسك في الفراغ من الذكر الظاهر والباطن معاً ، فإنك تجدك قادراً عليه ساعة ، أو دون ساعة ، ثم تواجهك الخواطر ، فإن قدرت على دفعها بعزيمتك وإعراضك عنها ، وعن ما يوجبها ، فادفعها بذلك ، وإلاّ فعد إلى الذكر بقلبك ، بتعقل الحروف ، لا بتخيلها : بما تحدث به نفسك بما

(١ و ٢) ما بين القوسين هكذا في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة «فحضرت معه وتركت الذكر الظاهر» ولا يستقيم الأسلوب .

تريد أن تفعل ، وإن قويت زحمة الخواطر ، فاجمع بين ذكر الظاهر وحضور الباطن معاً ، دون فترة[1] ، أو في غالب الأوقات ، هكذا .

وكلما واظبت على ما ذكرت لك : يزيد فراغك ، وينمو ، حتى تغلب الخواطر وتدفعها .

واستعمل نفسك وقلبك فيما ذكرت لك دائماً ، ولو كنت فيما عسى أن تكون فيه من الاشغال ما عدا [عمومات] نطقك بالحديث مع الناس ، فإن تعينت لك قضية توجب الاشتغال بشيء غير ما أنت فيه ، أو مصلحة ، فسم الله بحضور وتوجه في أول الأمر ، ثم أشرع فيما تريد الشروع فيه من : حديث ، أو فكر ، أو فعل ، وقل : «اللهم كن وجهي في كل جهة ، ومقصدي في كل قصد ، وغايتي في كل سعي ، وملجئي وملاذي في كل شدة ومهم ، ووكيلي في كل أمر ، وتولني تولي محبة وعناية في كل حال»[*] .

ثم باشر ما قدر لك ، بما شرعه[2] ، واقصد في خلال أحوالك الدنياوية ، التيقظ للذكر ، والإلتفات[3] إلى الحق مما أنت فيه ، كما قال سبحانه لحبيبه (ص) : **﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾**[4] يعني : بين الغدو والآصال : أي لا تقتصر على حفظ الطرفين الذين هما : الأول والآخر ، وإن كان ذلك مجدياً [وكافياً لقبرك][5] .

---

(١) أي دون توقف .

(*) بربك أيها القارىء الكريم ، هل الذي يقول هذا القول : يدعو إلى الحلول والإتحاد ؟؟

(٢) الضمير يرجع إلى الله تعالى : أي لا تفعل شيئاً غير مشروع لك من الله تعالى ، وفيه رد واضح على ما تناولوه وكفروه ولم يخشوا الله تعالى فيه .

(٣) تعبير عن شدة الشوق إلى الحق تبارك وتعالى .

(٤) سورة الأعراف ؛ الآية : ٢٠٥ .

(٥) هكذا هي في المخطوطة : أي لنجاتك من القبر وعذابه ، لأنك موحد ، والذي في خاطري : أن الكلمة «لقبولك» ، والله أعلم .

واذكر قوله : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾(١) واتبع ولا تبتدع(٢) .

ومتى جعلت هذا ديدنك في حضورك [وتقويك](٣) : سلطنت ودك . وظهر له قلبك في مشيمة(٤) طبعك ، وتطهرت صفاتك وأخلاقك ، وزكت نفسك ، واتسعت مرءآة قلبك ، واعتدل طبعها بتوحيد كثرتها ، وصح شكلها وهيئتها ، فسلمت وخلصت من [النتو] والتقعير ، وناسبت حضرة ربك في الوحدة والسعة والإطلاق والتقديس ، وتنزهت عن كدورات كثرة التعلقات العشقية والكونية والتدنيس .

فإن تمكنت فيما ذكرت لك : فتح لك باب آخر بينك وبين ربك ، لا حكم للوسائط فيه وعليه ، منه تعلم ما أنت فيه ، وما تكون عليه ، وما تعامل به الحق والخلق ، وما يقربك إليه .

وليكن هذا التوجه المذكور حالك في كل توجه تتوجه إلى ربك في عبادتك ، على اختلاف ضروبها ، وفي دعائك والتجائك إلى ربك مهماتك الجزئية والكلية .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣١ .

(٢) كيف يقول الذين يكفروه ؟ ألا يستحيون ؟

(٣) في المخطوطة : «وتتويك» .

(٤) المشيمة : الوعاء الرقيق الذي يكون الولد ملفوفاً فيه في بطن أمه ، والمشيمة مليئة بالقاذورات ، ومع هذا يحفظ الله فيها الولد ، كذلك القلب اذا كان صاحبه مداوماً على الذكر : يخرج من مشيمة الطبع بحفظ الله ورعايته، وهو تشبيه ـ منه (رضي الله عنه) ـ في غاية البلاغة والبيان .

تتمة

إعلم أن سر التدرج في الذكر والتوجه والترقي ، هو : لا حياء حقيقة المناسبة الثابتة أزلاً بين الحق وعبده - أعني المستهلكة الآن والمحجوبة بأحكام الخلقية والخواص والصفات المختلفة الإمكانية - وإنما هي تصح وتحصل وتخلص بقطع التعلقات الظاهرة والباطنة ، وتفريغ القلب من جملة الإرتباطات الحاصلة بعد الإيجاد : بين الإنسان وبين الأشياء كلها : ما علم منها وما لم يعلم ، ثم تهيئته - أعني تهيئة القلب - بموجب حكم الأحدية : بجمع الهيئة المتحصل من تأليف الصفات ، والأخلاق وآلات العلوم والاعتقادات والمقاصد ، والبواعث والتوجهات الناشئة في نفس الإنسان ، بالبدن العنصري[1] .

والله تعالى قوي كل واحد منهما بالآخر .

وغلبة بعضها بعضاً فعلاً وانفعالاً بمخض المجاهدات وتهذيب الأخلاق بالرياضات ، وإزالة أحكام الإنحرافات الغامضة ، من خواص الاجتماع الواقع بين القوى المزاجية والصفات النفسانية ، فإن المقصود

(١) البدن العنصري : الذي هو مركب من العناصر المعروفة : الماء ، والتراب ، والحديد ، والنار ، وما إلى ذلك من عناصر .

إنما يحصل بعد تطهير الملوثة .

ومن إتمام النواقص منها ـ أي من تلك الصفات المجتمعة من خواص الطبيعة والروح ، وما ذكرنا ، ونقلها من حيث تعلقاتها ومصارفها المعتادة ، وردها من درجات إنحرافاتها الخارجة عن حيز اعتدالها : إلى نقطة مركز دائرة الكمال الحقيقي بها ـ استمر ليتم تسويتها ، وتعديلها ، ويستعد للنفخة الثانية ، فإنه كما استعدت بالتسوية والتعديل الأول لنفخ الروح فيها ، كذلك يستعد بهذه التسوية والتعديل الثاني الواقع في مزاجه المعنوي بين خصائص نفسه الباطنة ، وبين خصائص بدنه العنصري ، المعبر عنها بـ «الأخلاق والصفات والعلوم والعقائد والبواعث والتوجهات» وغير ذلك من النسب والاضافات المضافة إلى الجناب الإلهي ، والكون : إنفراداً أو اشتراكاً ، للنفخة الثانية . فحينئذ يظهر بهذا الاستعداد والتهيؤ الوجودي الجزئي[1] : سر الاستعداد الكلي الذي به قيل هذا السالك الوجود من موجده أولاً .

فإذا تمَّ ذلك : حصلت النفخة الثانية من جانب الحق : حاملة سراً ثانياً ، يعبر عنه تارة بـ «التأييد القدسي» في حق قوم ، وبـ «التنزلات الملكية» ، و «المنازلات» في حق قوم ، و «تجليات الأسماء والصفات» في حق آخرين .

ثم بعد ذلك يكون التجلي الذاتي المستلزم بما لا ينال وما لا يعرف سره في غير الكمل : ذو علم ذوق معين ولا حال .

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أن قلوب أكثر الناس إنما ظلمتها وكثرة صداها ـ كما قلنا ـ من التعلقات الشهوانية ، والأحكام الإمكانية .

والمناسبة التي بينها وبين الحق : إنما ضعفت لذلك .

---

(١) في المخطوطة «الجزوي» والله تعالى أعلم .

فلهـذا كـان الإنتقـال مما هم فيـه إلى الحـالـة والصفـة التي تليق وتصلح أن يـواجـه بهـا حضـرة الحق ، وتثبت بهـا المنـاسبـة ، ويجيء حكمهـا متعـذراً ـ سيمـا إذا أريـد أن يكـون دفعـة واحـدة ـ لأن الحـالـة الأولى بها : الكدر والظلمة والنقص ، والكثرة .

ولجناب الحق أضداد هذه الأربعة ، وهي : الصفـاء ، والنوريـة ، والكمال ، والأحدية .

وسر الحق ـ وإن كان مستجناً في كل واحـد ، بل في كـل شيء ، ومصاحباً له ، ومحيطاً به ـ فإنه محجوب بالأحكام الإمكانية الـظلمانيـة ، وصفاتها الوجودية كما مر .

فمن وجـد في نفسه طلبـاً للحق ، أو ممـا لـديـه ، فـإنمـا يـطلبـه وينبعث لـه بمـا فيـه من الأمـر المـطلوب : لأنـه يستحيـل ـ عنـدنـا ـ أن نطلب الحق أو محبة سواه ، أو يصل إليه ما ليس به .

وهكذا الأمر في كل مطلوب مع كل طالب .

فســر طلب الحق ـ في زعم طــالبيــه ـ عبــارة عن طـلب الحـق المقيـد ، المستجن في الطالب ، مـع الكمال النسبي الخصيص بـه متى رق بعض حجبـه ، أو قـل طلب ـ أعني ذلـك السـر ـ الاتصــال بـالحق المـطلق وكمـا لـه الحقيقي : للخـوف ، وفـرع بـأصـل وإظهـار كمـال الكـل : [الجزء الـذي به ثبت اسم الكـل للكل][1] فـإن الامتياز ، إنمـا حصــل من حيث أنـه عــرضت بينهمـا مفــارقــة نسبيــة ، بتعين بعض الوجوه .

---

(١) جملة «الجـزء» إلى آخره ، مفعـول «إظهاره» ، ولـك أن تعربهـا بدل جملة من جملة ، والله تعالى أعلم .

فصل

كما بعدت المناسبة بين حال بواطن الناس ، وبين جناب الحق ، وشأنه كما ذكرنا ، ووجد الإشارة في قلب الباعث على الذي ذكرت سببه ومقتضاه ، لم يكن ذلك إلاَّ بالتدريج ، كما أشرت إليه : لزم الشروع أولاً مما الإنسان فيه من الجلال إلى مفارقة صورة الكثرة : شيئاً فشيئاً ، وذلك بالإنفراد أولاً والانقطاع ليحصل ضرب ما من ضروب المناسبة بين العبد وربه .

ثم يستعين بما ذكرنا ، ويقصد تعطيل قواه المتكثرة والمختلفة : الحسية منها ، والحالية الحيوانية ، الحاصلة والعارضة من الخواطر جهد الإمكان ، بجمع الهم وتحقيق العزم ، ثم يقصد الإلتفات إلى الحق بصورة ملازمة الذكر : [ذكر من أذكاره يعينه المرشد ، أو الحال ، أو الاستعداد] وإنه ـ أي ذكر كان ـ من وجه كوني ، ومن وجه رباني .

لأنه من حيث لفظه والنطق به : هو كون .

ومن حيث مدلوله : هو حق .

فهو كالبرزخ بين الحق والكون .

فيحصل بذلك أيضاً ضرب من ضروب المناسبة : أتم مما قبله فإذا تأنس الإنسان به كان كالمفارق العالم ، وكالمحيي لرقيقة المناسبة الرابطة من أكثر الوجوه ، بينه وبين الحق ، لتغليب حكم الوحدة الحقية على الكثرة الخلقية[1] .

ثم إذا أنتقل من الذكر الظاهر إلى الذكر الباطن ، ونطق به قلبه ، دون تعمل[2] ـ سيما إذا كان نطق القلب بغير الذكر الذي بدأت عليه ـ كان بعده من صور العالم وأحكامه المختلفة المتكثرة أكثر ، وقربه من الحق الواحد ، ومناسبته معه ، ونسبته إليه أتم[3] .

وكلما قويت العزيمة ، وتوفرت الرغبة بحصول الأنس الذي أثمره الفؤاد ، وما ذكرنا : مع جمع الهم الذي هو الأصل الأتم : قويت سلطنة الحق المستجن[4] في الإنسان ، وضعفت فيه أحكام الكثرة والإمكان ، فتنور قلب العبد أو انصقل وتصفي ، من حيث صفاته فتجوهر واعتدل لاستقامة سطح مرءاته وتوحد كثرته[5] ، كما هو الأمر في المرءاة المحسوسة ، التي أبرزها الحق في بعض الوجوه مثالاً

---

(١) الحقية بفتح الحاء وتشديد القاف المكسورة : نسبة إلى الحق ، والخلقية : بفتح الخاء وسكون اللام نسبة إلى الخلق ، والمقصود : تغليب جانب الحق على جانب الخلق ، والله تعالى أعلم .

(٢) أي تشغيل للقلب ، لأنه أصبح سجية له وطبيعة .

(٣) أي : لاستواء قلبه ، لأن التقدير : «ونطق به قلبه دون تعمل» : تمَّ قلبه ونضج ، لأن الذكر أصبح له طبيعة ، وما بين «تعمل» و «تم» جمة إعتراضية .

(٤) والحق المستجن في الإنسان هو : الفطرة التي عبر عنها رسول الله (ص) بقوله : «يولد المولود على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه» فإذا قوي جانب الفطرة المستجن في كل إنسان : سيطر الحق ، الذي هو الإيمان ، وأصبح الإنسان موحداً كاملاً . . . يقول الله تباك وتعالى : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ هذا والله أعلم .

(٥) توحد الكثرة هنا : معناه أن الشواغل الكثيرة التي كانت تشغل القلب تبددت ، وأصبح شغله بالله فقط . والحمد لله على فضله .

لمرءاة قلب الإنسان وحقيقته ، فإن صفاءها وصقالها إنما هو باعتدال أجزاء سطوحها : الحاصل بزوال ما ظهر فيها من التعدد والاختلاف ، كالنتو ، والتقعير ، وإعوجاج الشكل [والتصفير][1] فإن كل ذلك يوجب تغير صورة ما ينطبع فيها بالنسبة إلى مدرك[2] الصور فيها عما هي عليه خارج المرءاة : سيما إذا خالف شكل المرءاة شكل الصورة ، فإن المرءاة بعد الصقل وتسوية سطوحها وصحة إستدارتها ـ لأن الإستدارة أفضل الأشكال وأقربها نسبة إلى الاطلاق ـ وعدم التقيد بالشكل والصورة . ولهذا كانت الأفلاك وما فيها من الشكل والصورة مستديرة كلها ، لأنها أقرب الأجسام نسبة إلى الأرواح ، ولا واسطة بينها وبينها . فإنها أول الأجسام صدوراً من الحق سبحانه بواسطة الأرواح ، فافهم .

ثم نرجع ونقول : فالإنسان لا يزال مقبلاً ـ كما قلناه ـ في صورة الذكر إلى معناه وباطنه ، ومن التلفظ به إلى نطق القلب بذلك الذكر أو غيره ، وباطن الذكر غير معناه ، وإنه عبارة عن التوجه إلى المذكور من كونه مذكوراً ، أو متوجهاً إليه هكذا : درجة فوق درجة إلي[3] .

وفي كل درجة يسقط منه جملة من أحكام كثرته ، وصفات إمكانه ، ويقوي حكم وحدة ربه(*) وسلطانه .

ومعنى السقوط هنا : للصفات والقوى ، لاستهلاكها ، لأنها بها عكس الحالة الأولى التي كان عليها كجمهور الناس .

مطلب المناسبة :

فإذا كمل بها هذا التوحد ، وتلاشت أحكام الكثرة الخلقية الإمكانية : ثبتت المناسبة من بين : جناب الحق ، وبين القلب الذي

---

(١) أي كدورة اللون وضفرته .

(٢) «مدرك» بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء .

(٣) هكذا هي في المخطوطة ، ولعل هنا سقطا تقديره «آخره» .

(*) أي انفراد ربه به ، ولا يكون لأحد سلطان عليه غيره ، والله تعالى أعلم .

هذا شأنه فحالتئذ يظهر التجلي المستجن في العبد : لزوال كل ماكان يمنع من ذلك ، ويتصل بالتجلي الذي يتدنى من الحق إليه ، والأمر الذي يتنزل فيه ، فيستحيل[1] قواه الظاهرة والباطنة ، وجملة صفاته : استحالة معنوية ، فتبدل أرضه غير أرضه ، وسماؤه غير سماواته[2] ، وكذلك ما فيها : لقيام قيامته ، واستقامة قامته ، وحينئذ يصير تمام الآية وصف حاله ، وهو قوله تعالى : **﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾**[3] فيتغير اعتقاده في كل شيء عما كان عليه بتغير ما به ـ يدرك ما يدرك ، ويتلو قوله تعالى : **﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾**[4] .

وأما بعد ذلك فلا يمكن ذكره وبيانه ، بل يجب ستره وكتمانه ، و «كل ميسر لما خلق له» .

وما ذكرنا في هذه العجالة ـ وإن كان أصلاً جامعاً ـ فإنما يأخذ كل أحد منه : ما يستعد له ، وما يساعد عليه وقته وحاله ، و **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾**[5] .

ومن أراد استكمال هذه الفائدة ، واستثمارها ، فليضف هذه التتمة إلى ما ذكر من قبل ، فإنه : إن أدرك ، وفهم ما أدرجت في هذه الكلمات : عرف سر الحق المودع في الخلق .

وعرف معنى «غلبة الرحمة الإلهية الغضب»[6] ، وإنها منبع كل

---

(١) يستحيل بمعنى : يتحول .

(٢) المعنى المقصود : إنه يتغير حاله كله ، والتعبير بأرضه وسماواته ، تعبير بالكناية . لا بالحقيقة .

(٣) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٤٨ .

(٤) سورة الزمر ؛ الآية : ٤٧ .

(٥) سورة فاطر ؛ الآية : ٢ .

(٦) من قول الحق سبحانه وتعالى في حديثه القدسي «سبقت رحمتي غضبي» رواه الإمام = مسلم .

اعتدال وإنحراف واقع في عرصة المعاني والأرواح ، وعالم المثال : الذي تتصور فيه الأرواح وتتجسد فيه المعاني ، واعتدال عالم الحس .

وعرف سر الولادة[1] الثانية التي أشار إليها في الآية : في الأنبياء والأولياء ، وتقدم حديثها آنفاً .

وعرف سر أصحاب الحق بالخلق ، وسر صحبة الحق بالخلق ، وإحاطته بهم ، وكونه معهم ، أينما كانوا (دون مزج ، وملابسة ، وظرفية)[2] .

وعرف أيضاً كيفية إنتشاء الخواص الروحانية في ملابس المواد الطبيعية ، وكيفية ترتبها هناك ، وكيفية تخليصها من تلك المزجة ، كما مر ذكره في أمر الكثرة ، والوحدة ، والإلهية ، واستهلاك الكثرة تحت سلطنة الوحدة ، فإنه مزاج التحليل الذي لم يذقه ولم يشهده ولم يتحلل في وجه بحيث ينزل منه في كل مرتبة وعالم : ما يناسبه .

لم يدر ما المعراج ولم يلج حضرة من حضرات الحق أصلاً ، ولوجاً محققاً .

وكما ذكرناه في شأن ماء الورد ، الممثل به في سر الحق وسرايته في المراتب الخلقية ، وعوده إلى الأصل ، بواسطة الأحوال المسماة «سلوكاً» فافهم .

وعرف أيضاً : سر الفناء والبقاء ، وسر السكون ، ومبدأه

= والغلبة أو السبق بالنسبة لله تعالى ليس كما هو للخلق ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، فإن الله تعالى لا يعتريه ما يعتري الخلق .

(١) الولادة هنا : التربية : قال في القاموس المحيط : والتوليد : التربية ، ومنه قول الله عزّ وجلّ لعيسى (ع) : ﴿أنت نبيي وأنا ولدتك﴾ بتشديد اللام المفتوحة : أي ربيتك .
فقالت النصارى : «أنت بنيي وأنا ولدتك ـ بفتح اللام الخفيفة ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» .

(٢) الا يتقي الله : الذين يدعون فيه ما ليس فيه .

وموجبه . «وإن الإنسان كان غيباً فصار وصفاً ، ثم صار خلقاً ، وسوى حتى وصف سر الحق المودع فيه بصفات الخلق ، وسمي باسمه ووصفه ، وصار يطلب ذلك السر الانسلاخ بالعود ثانياً عما تلبس في إتيانه ، أولاً بالنسبة إلى المدارك .

وعرف سر غلبة الله على أمره[1] في مرتبة الأرواح مع الطابع ، وفي مرتبة الأخلاق والصفات المحمودة مع المذمومة ، ومغلوبية الأرواح الإنسانية تحت أحكام الأمزجة الطبيعية أولاً : مع مغلوبيتها ومغلوبية سائر الأرواح العلوية المقدسة أخرى ، تحت أحكام الأسماء والصفات الإلهية ، واستهلاك جملة الكون تحت السطوة الذاتية الإلهية .

وتعرف علوماً مدرجة في هذه الكلمات : غير ما ذكرنا ، يطول ذكر أنواعها ، فكيف تعينها وبيانها . فافهم .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

والله يهدي من يشاء إلى صراطاً مستقيم .

* * *

تمت «العجالة» بعون الله وحسن توفيقه

والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم في شهر صفر المظفر : من شهور سنة ست بعد الألف من الهجرة النبوية .

علقها عجلاً لنفسه أضعف الفقراء ، : مصلح الدين بن أحمد بن الياس الخلوتي البلغرادي ، ثم الدمشقي ، الإمام بجامع «سيباي» غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه ، ولجميع المسلمين أجمعين . آمين . .

(١) من قوله تعالى : ﴿والله غالب على أمره﴾ .